مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

قضية النثر الفني في كتاب عصر القرآن

م . د . وسيم عبد الأمير درويش عبد الكريم

مديرية تربية كربلاء المقدسة

التخصص العام للبحث: لغة عربية	التخصص الدقيق للبحث: فرع الأدب الحديث ونقده

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

قضايا نقدية حديثة

النثر الفني

كتاب عصر القرآن

محمد مهدي البصير

المستخلص باللغة العربية:

ملخص البحث

تسعى الدراسة الموجزة إلى بيان (قضية النثر الفني) في كتاب عصر القرآن ، وتأتي في مدار العناية بجهود الراحل الدكتور محمد مهدي البصير (1895 - 1974) في مجال النقد الأدبي وقضاياه ، وبيان جانب من ذلك الدور الريادي الذي كان له مطالع القرن العشرين حتى سنة رحيله .

لقد جاء عصرنا وقد قلّت فيه أهمية هذه القضية ؛ إذ تكاد تصبح موضوعاً للمناقشات ذات الطابع النظري أو فرضاً من الفروض الأكاديمية مع شيء من الارتباط بجوانب دقيقة تخص تاريخ اللغة العربية وآدابها ؛ أما في عصر البصير وبرؤيا البصير نفسه ، فإنها من الخطورة بمكان ! إذ إنها ــ وبحكم العصر وأحداثه ــ قد انتقلت من ميدانها الأدبي إلى الميدان السياسي ..!

يطمح البحث إلى عرض القضية وما تظاهرت عليها من آراء لها قيمتها خارج الكتاب ، فضلاً عن طبيعة معالجتها في ضوء فهم البصير لها بالوقوف عند الباب الأول من كتابه تحديداً ؛ وقد أوضحت عن غرض البحث بالاعتماد على خطط هذا الباب والشواهد المعتمدة ، وما يشتمل عليه من دلالات عميقة لها قيمتها فيما ينتخب وينتقي ويختار من شواهد، واقتضت غاية البحث عرضاً سريعاً ــ بالوصف والتحليل ــ لأحوال عصر البصير ، الذي بلاشك قد أوقد حميته في شكل من أشكال المناهضة الثقافية للغرب ، بعد أن اعتزل كفاحه السياسي ..! وسنرى آراء البصير وما لها من الوضوح والجلاء بما يدل على شخصية البصير ومنهجه وطريقته في إدارة هذه القضية وعرضها بما يقتضي الوصف والإبانة عن الغرض .

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

قضية النثر الفني في كتاب عصر القرآن

مقدمة : يُعنى البحث بقضية (النثر الفني في كتاب عصر القرآن) واقفاً عند أصولها وبواعثها ، ويأتي ذلك في مدار العناية بجهود الراحل الدكتور محمد مهدي البصير (1895 - 1974) في مجال النقد الأدبي وقضاياه ، وبيان جانب من ذلك الدور الريادي الذي كان له مطالع القرن العشرين حتى سنة رحيله .

ظهرت طبعة الكتاب الأولى عام 1947 ، ولتاريخ تأليف الكتاب معنى بل معنى كبير ..! فقد نُشرت مواده على هيئة مقالات نشرها البصير تباعاً من عام 1939 في مجلة المعلم الجديد ، أي بعد عودته من فرنسا ، وبعد أن أحرز الشهادة بالأدب الفرنسي عن أطروحته (شعر كورني الغنائي1937) إذ تأكّد له زعم أقطاب الاستشراق

الغربي القائم على فكرتين جوهريتين : (انتحال شعر ما قبل الإسلام) و (انتفاء وجود نثر فني للعرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام) ، وشرع البصير انطلاقاً من منهجه المخلص والأمين لتراثه في زعزعة تلك الأفكار بالتدقيق في صفحات التراث الأدبي بخطوات محفوفة بالأناة في تناول النصوص وتأملها ، وإعمال الذوق وحسن التعبير عن مراميها .

يدل عنوان الكتاب على فهم خاص لأجواء ذلك العصر ؛ إذ رأى البصير على الجملة ، أن روح القرآن وأساليب لغته في التعبير قد ألقت بظلالها على النثر والشعر ، ونفذت إلى أفئدة كبار شخصيات تلك الحقبة على امتدادها من أول الدعوة الإسلامية وحتى زوال دولة بني أمية في الشام ، ولعل فضيلته الكبرى ـ كما سيجيئ الحديث عنها في ثنايا البحث ـــ في انتقاء النصوص وتحليلها وما ترتب عليها من نتائج لها من الوجاهة والصحة الكثير الكثير.

لم تكن الدراسات الأكاديمية لتهمل عَلَماً بمنزلة البصير ؛ فظهرت على مدى الأعوام السابقة أعمال تُعنى بأدبه ؛ من قبيل : " محمد مهدي البصير شاعراً " دراسة منعم حميد حسن ، و " شعر محمد مهدي البصير ـ دراسة نقدية " عمل محمود عبد الرزاق أحمد . ومنها ما يعنى بنقده ؛ نحو : " محمد مهدي البصير وجهوده النقدية " دراسة للسيد خليل إبراهيم أحمد . ومنها ما جمع بين أدبه ودوره النضالي نحو : " محمد مهدي البصير رائد المسرح التحريضي في العراق" للمؤلف علي محمد هادي الربيعي ومنها ما يعنى بنشاطه الفكري والسياسي ، من قبيل دراسة الباحث علي كاظم حمزة ، وجاءت بعنوان " محمد مهدي البصير ودوره السياسي في العراق " ، فضلاً عن الوارد في الصحف والمجلات والدوريات من كلمات وشهادات ودراسات لا محل لذكرها ، ويمكن للراغب في المزيد الرجوع اليها .

وإذ خصّ الدكتور علي جواد الطاهر أستاذه البصير بأكثر من مقال ؛ فقد تناوله قلم العارف بحقه وبمنزلته من أنصار العربية وحماتها ، ووقف عند آثاره وتحقيقاته ونقوده ، وأضاء جانباً خفياً من حياته ، عارضاً تلك الحياة بجليل شؤونها وعظيم مواقفها للقراء . وفي هذا البحث وجه من وجوه الوفاء للبصير بعد أن أحسّ صاحبها ، بغياب ذكره في الأعوام القريبة الماضية ؛ إذ تكاد صفحته تطوى ، ويغلفها النسيان ، ويغيبها الزمن ؛ فيضيع فضل البصير ، وينقطع ذكره ، وتنسى مواقفه مدافعاً عن العربية وأهلها.

لقد اقتضت غاية البحث عرضاً سريعاً ـ بالوصف والتحليل ـ لأحوال عصر البصير ، الذي بلاشك قد أوقد حميته في شكل من أشكال المناهضة الثقافية للغرب ، بعد أن اعتزل كفاحه السياسي ..! وسنرى آراء البصير وما لها من الوضوح والجلاء بما يدل على شخصية البصير ومنهجه وطريقته في إدارة هذه القضية وعرضها بما يقتضي الوصف والإبانة عن الغرض .

أسعى في البحث الموجز إلى بيان أصول (قضية النثر الفني) في كتاب البصير وما تظاهرت عليها من آراء لها قيمتها خارج الكتاب ، فضلاً عن طبيعة معالجتها في ضوء فهم البصير لها بالوقوف عند الباب الأول من كتابه تحديداً ؛ وقد أوضحت عن غرض البحث بالاعتماد على خطط هذا الباب والشواهد المعتمدة ، وما يشتمل عليه من دلالات عميقة لها قيمتها فيما ينتخب وينتقي ويختار من شواهد . وقد اعتمدت على (**المنهج التاريخي**) في الوصول الى النتائج المطلوبة ، وأقمت البحث على محورين:

الأول / بذور قضية النثر الفني عند البصير وبواعثها

الثاني / قضية النثر الفني في ميدان العرض والاستدلال

ويأمل الباحث في هذه الدراسة الموجزة أن يقف عند بواعث كتابة الجزء الأول من كتاب الدكتور محمد مهدي البصير فضلاً عن مفهوم النثر الفني في عصوره الأولى عند العرب ، وكيف يتم لنا اليوم الانتفاع من جهوده ومن منهجه في هذا المجال ؛ و بالاعتماد على خطة البحث يرجو الباحث أن يتحقق المبتغى وتعمّ الفائدة ...

المحور الأول : **بذور قضية النثر الفني عند البصير وبواعثها .**

أولاً : معترك القرن العشرين

لقد جاء عصرنا وقد قلت فيه أهمية هذه القضية ؛ إذ تكاد تصبح موضوعاً للمناقشات ذات الطابع النظري أو فرضاً من الفروض الأكاديمية مع شيء من الارتباط بجوانب دقيقة تخص تاريخ اللغة العربية وآدابها ؛ أما في عصر البصير وبرؤيا البصير نفسه ، فإنها من الخطورة بمكان ! إذ إنها ـ وبحكم العصر وأحداثه ـــ قد انتقلت من ميدانها الأدبي إلى الميدان السياسي ..!

عاصر البصير مرحلة حاسمة ألقت بظلالها على مختلف مناحي البلاد ؛ فلم يطل القرن العشرين، حتى وقع العراق ضمن خريطة بريطانيا ، ودخل ضمن حقبة الاحتلال .

بعد اشتعال أوار الحرب العالمية الأولى ، يضطرب المجتمع العراقي ، وتدخل القوات البريطانية، ويشعر العراقيون بأنهم تحت ظل حكم أجنبي مباشر ، ثم يثور العراقيون ثورتهم الكبرى عام 1920 ؛ وقد شارك البصير مشاركة مباشرة (البصير، خطرات، 2012، صفحة 7)وكان مثل ماوصفه على جواد الطاهر " خطيب الثورة

وشاعرها ، ولقي في سبيل ذلك ما لقي من أبناء وطنه من تمجيد وتقدير ؛ ومن المستعمر من مطاردة وتوقيف واعتقال وسجن " (البصير، نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة ، 1990، صفحة 7).

لقد أذكت الأحداث مجتمعة الروح الوطنية والقومية ، وكان للبصير نصيبٌ وافرٌ منها ؛ فقد واجه البصير الأحداث مواجهة مباشرة هزت وجدانه القومي هزاً مباشراً .. وبعد إقرار حكومة ملكية في العراق ، وعودته من منفاه ، تأمل البصير الواقع السياسي للبلاد ، و" رأى أن الخروج من التحزب السياسي ضرورة ملزمة له فضلاً عن عوامل لايمكن أن يصرح بها " (البصير، تاريخ القضية العراقية، 1923، صفحة 1) ؛ ليتحول الى طلبته ودراساته وبحوثه ، وفي النفس بقية لم ينطفئ ضرامها ، تحثه على مقاومة المركزية الغربية ؛ فيكتب بحوثاً ، ويؤلف كتباً يعالج عبرها ما يستثير عقله ووجدانه ، ثم كان له أن يسافر الى مصر ومنها الى فرنسا لإكمال دراسته ؛ ويصطدم هناك بشكل مباشر مع الاستشراق الغربي ؛ ولاشك أنّ (عصر القرآن) هو أثر بارز من آثار تلك المواجهة . وقد أعلن البصير عن ذلك ؛ وإلى القارئ أهم ما يمكن أن ينطوي عليه إعلان البصير من معنى ظاهر وآخر خفي ، و لقد جاء رده في مناسبة خاصة في شكل من الاعتراف الصريح : " لقد خلقتني فرنسا خلقا جديدا ، ولولا فرنسا لم يكن (عصر القران) ولا (في الادب العباسي) ولا .... ولا .... " (الطاهر، الدكتور البصير والدراسات الأدبية، 1972، صفحة 3) .

ثانياً : المستشرقون ونزعتهم الإقصائية

الاستشراق الذي سنشرع في بيان طبيعته ووظيفته في صورة موجزة ، قد دلّ في أساسه الرئيس وطابعه الذاتي ، وبالاسم الذي اطلق عليه منذ بادئ الأمر ، والذي لايزال يحمله وهو يتابع سير عمله في قرنه الرابع على : " بحث الغرب عن الشرق ، واتخاذه موضوعاً للمعرفة ومحاولة التعبير أحياناً بالإنابة عنه ، وخلق صورة له ليس من الضروري أن يكون كل رصيدها من الواقع ، والبناء على هذه الصورة ، واعتبار رصيدها تراثاً يشكل واقعاً مثالياً ..." (درويش، 1997، صفحة 22) و لقد أثمر " الاستعداد العلمي المكثف للمستشرقين على مدار قرون متعددة دراسات ــ قيّمة في مجملها ـ حول الأدب العربي وتراثه ، كُتبت بلغات حية من قبيل : الفرنسية والانجليزية والألمانية والروسية .. " (درويش، 1997، صفحة 12) ولابد للقارئ الاحتراز عند قراءتها بسبب "سوء النية أحياناً ، ونقص الأداة" (درويش، 1997، صفحة 12)؛ ومرّ الاستشراق ـ بحكم الواقع الجديد للعالم ـ بأطوار تشهد على طبيعته ؛ ولم يكن البصير ممن شهد طوره الأول الذي كان "الدافع الديني هو المسيطر في توجيه عنايته بالشرق وأدبه" (درويش، 1997، صفحة 20) ، ولا الطور اللاحق الذي ذهب فيه الرواد من المستشرقين الأوائل " لاتخاذ معرفة العربية وآدابها زينة للعمل الدبلوماسي ، أو بعض البحوث الطبية ، أو في مجال الدفاع عن المسيحية " (درويش، 1997، صفحة 45) ؛ وإنما شهد الدور الذي يقف فيه المستشرق مع مصالح بلاده القائمة على الاحتلال المباشر لبلاد الشرق والانتفاع من هباتها وخيراتها .

لقد أدخل العصر الحديث تعديلاً جوهرياً في وظيفة المستشرقين ؛ لقد كانت رُسل الاستشراق تتحرك في كثير من الأحيان بدوافع سياسية ، وظل نشاطها يعظم بوتيرة متزايدة مع دأب من دون توقف استجابة لصناع القرار الغربيين من أجل وضع الحلول للمعضلات التي تعيق مشاريعهم وتعرقل نفوذهم في الشرق ، و" كانت المسلّمة التي سارت عليها الثقافة الغربية تقوم على فكرة الصلة الوثيقة بين المعرفة والقوة ، وكانت الاستعانة بعلماء الاستشراق تتم في ضوء هذه النقطة من أجل معرفة ثقافة الشرق وتفكيكها إن وجب الأمر " (درويش، 1997، صفحة 20) ؛ ومن النافع لنا معرفة أن هذه الخطوات كانت أداة فعالة لتحقيق مصالح الغرب ، وكان في ذلك كله مظهراً من مظاهر " فرض القيم الأوربية على العالم " (سعيد، 1996، صفحة 28) ؛ لقد انتحت مدارس الاستشراق الحديث ناحية غير منزوعة الغرض الى جانب ما قدمته من خدمة في تحقيق التراث العربي ونشره ، ولنا أن نقرر أن النزعة الغالبة عليها ذات طابع استعماري ؛ " فقد كانت حركة الاستشراق محكومة بتطور مصالح الغرب في الشرق " (عدنان، 1984، صفحة 213)

ولنا أن نرى كيف واجه البصير هذا الخط المنظم بحماس لم يفتر ولم تُعوِزه المثابرة يوماً ما ، على الرغم من صعوبة المهمة واستحالتها بعض الأحيان . ومن الأمثلة الحية على مواجهة أوساط المستشرقين بشكل مباشر ، نص الحوار بينه وبين قطب من أقطاب الاستشراق الغربي: " قال لي الأستاذ لويس ماسنيون ـ بصريح العبارة عندما فاتحته بشأن كتابي (الأدب العربي قبل الإسلام) " إننا معاشر المستشرقين ننكر أن يكون هناك شعر جاهلي ! وليس بيننا سوى مستشرق إنكليزي واحد يقول بعكس ذلك " (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 88) .

إن كل كلمة قالها ماسينيون ذات معنى محدد إزاء الأدب العربي قبل الإسلام ، ليس في حق الشعر فقط وإنما بحق النثر أيضاً وقد كان في ذلك كله مظهراً واضحاً لإنكار ما للعرب من تراث أدبي قديم ، وفي وجه من الوجوه، ذريعة لفرض نوع من الحاكمية وهي الصورة المرتسمة تقريباً في ذهن كل مستشرق غربي ... وهكذا صار حوار قطب الاستشراق ذي الصبغة المتعالية ذات الجوهر الاستعماري مع البصير ذي الخلفية النضالية ومن حماة العربية المكافح عن استقلال الشعب يأخذ طابعاً مغايراً ؛ إذ يدخل الصدام الحواري في تاريخ " النشاط ضد المستعمرين " (درويش، 1997، صفحة 48) لقد تمكن البصير بما ينطوي عليه من العناصر الذاتية من مواصلة الكفاح ،

وأمكننا في الوقت نفسه رؤية البصير الانسان المواجه بشعوره الوطني وبنائه النفسي الجاد ، فيكون نظير كل ثائر يسعى " ليس فقط لتأكيد الدور الذي تفرضه المواقع الاستراتيجية ، والغني بالثروات الباطنية ، لأمة يزيد عددها على مائة مليون من البشر ، ولكنه في الحقيقة يسعى من وراء ذلك الى إعادة اكتشاف هوية جديدة تتفق مع التاريخ الحاضر والبعيد القديم " (درويش، 1997، صفحة 48) ؛ ويدل ماورد عن البصير دلالة واضحة على عمق تفكيره وأصالة رأيه ورسوخ عقيدته . وحسبنا ما شهد به الدكتور علي جواد الطاهر : " وشخصية البصير قد بلغت من التماسك الدرجة التي لم تبلغها شخصية أستاذ ، أقصد بالتماسك القوي لدرجة العنف أحياناً ... وخلقاً شخصياً منسجماً تمام الانسجام مع عناصر القوة والاعتزاز بالنفس وعناصر الشهادة له بالنزاهة. " (الطاهر، أساتذتي ومقالات أخرى، 1987، صفحة 39).

بوسعنا الآن أن نرى كيف وضِع البصير بحكم الظروف التي أحاطت به في مواجهة العقلية الغربية ، وكيف سيقاوم ذلك بأساليب البحث الأدبي بعد أن خاض المواجهة المباشرة معها .

ثالثاً : الموقف من الغرب

عندما تهيأ البصير ليضع كتابه **الأدب العربي قبل الإسلام** ، وهو من مستلزمات نيل الشهادة في السوربون ، رُفض الكتاب ..! ولنا أن نرى ملابسات ذلك الرفض ؛ إذ يعلل البصير الرفض القاطع لمشروعه : " لأن سياسة المستشرقين الفرنسيين المصطبغة بصبغة علمية ترمي إلى إنكار شخصية العرب الأدبية ؛ فهم يرفضون الشعر الجاهلي كله رفضاً تاماً ، ولا يعترفون بصبغة أدبية فنية للقرآن " (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 87) .

وبعد ذلك نجد ما هو المدار لقضيتنا ـ قضية النثر الفني ــ في حديث البصير المتصل بعلل الرفض : " ولايبدأ النثر الفني عندهم ــ وهو الجزء الدال على التفكير والتحليل والتفنن في البيان ـ الا بابن المقفع ! . أي أنه يبدأ برجل أجنبي !! " (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 89) .

وفي مورد متصل يرى البصير أن من صنائع تشكيك المستشرقين ورفضهم أدبية عصر القرآن ، إنكارهم : " أن تكون خطب نهج البلاغة ورسائله وحكمه للإمام علي ــ ع س ــ : ويعتبرون عبد الحميد بن يحيى الكاتب شخصية خيالية كامرئ القيس وطرفة وزهير وغيرهم من الشعراء الجاهليين ." (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 87) .

لقد وعى البصير جيداً حجة (الانتحال) ولنا أن نستدل بقوله وهو يعالج ذلك التقليد الغربي القائل بوجود شعر عربي منتحل ونثر منتحل ؛ إذ يقول : " في آداب الأمم الأخرى شعر منحول ونثر مفتعل ، ولكن هذا الشعر المنحول ، وذلك النثر المفتعل لم يحملا نقاد الأدب يوماً ما على إنكار أقسام الأدب الأخرى المعاصرة لذلك الأدب المفترى ." (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 90) وقد دلّ البصير على نماذج من شعر منسوب لأدباء فرنسيين من قبيل : (ربله) و (كورني) و (راسين) و (لافنتين) و (موليير) من أدباء القرن السابع عشر ؛ ولعل من الحق الاعتراف بوجود مواد كثيرة تداولت عبر القرون المتعاقبة تستوجب النقد وإعادة النظر ، لكن ذلك لم يكن مدعاة لإنكار أدب أمة من الأمم .

بناءً على المواقف الآنفة ؛ في ميسور القارئ الاهتداء الى أن النزعة السائدة في أوساط الاستشراق الغربي ، كانت ترمي في وجه من وجوهها إلى الغض من قيمة الآثار الأدبية لشعوب الشرق الأدنى وعلى الأخص الشعوب العربية ، وتعدها صادرة عن عصور لاحقة ، بعد الاختلاط بشعوب أخرى ، أملت طابعاً جديداً ؛ فظهر التدوين ، وقعدت قواعد اللغة ، وظهرت العناية بالفنون ...

لكن ماهو موقف البصير من الغرب ؟ لقد تعلم في جامعة السوربون ، ونهج نهجاً علمياً حديثاً هناك ، فكيف يكون موقفه ؟ ذلك بأن ما بين أيدينا يشير الى سوء ظن بالمستشرقين عامة وبالمستشرقين اليهود خاصة ؛ وحسبنا قوله : " الأصل فيما يقول المستشرقون اليهود عن العرب هو البطلان " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 213) .

من أجل ذلك لابد لنا من الاستدلال بحديث البصير نفسه ؛ ولنا أن نقول إن موقفه على الغاية من الوضوح والاستقامة والاعتراف بقيمة كل طرف ؛ يقول البصير : " ليس هناك شك في أن الشرق محتاج الى المعونة الأدبية والمادية . وليس هناك شك كذلك في أن الغرب قادر على ابداء هذه المعونة اليه ، ولكنه يريد حرية الشرق ثمنا لها . ولهذا يجب على الأخير أن يحتفظ بحريته ويكفي نفسه بنفسه (...) " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 18) .

ويجب أن لا تفوتنا الإشارة الى قول البصير الذي يظهر فيه الفهم الكامل للاتجاه الذي رآه جديراً بالاتباع ؛ لقد رأى بأن : " اقتباس علوم الغرب وفنونه وآدابه أمر لا مناص للشرق منه الآن . ولكن هذا لا يعني أن الثاني خلق ليكون عالة على الأول ، وإنما يعني أن الغرب يلعب دوره الآن على مسرح الحضارة والتاريخ . وقد سبق للشرق أن لعب دوره على هذا المسرح بنجاح ، ويستأنفه لامحالة في المستقبل القريب أو البعيد " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 19)

يمكننا الآن أن نلقي نظرة قريبة وفاحصة على الأفكار التي تأثر بها البصير تأثراً عميقاً ، ورآها جديرة بأن توقظ الحقائق عند بني وطنه ... لقد رأى البصير أن الأوطان العربية متخلفة عن دورها الحضاري ؛ فلابد من استيعاب حضارة الغرب الحديثة ؛ لكنه عرف بأن لكل شيء ثمنه ؛ فأخذ يحذر من الاتباع الأعمى وطمس الهوية.

و لقد مارس البصير ذلك عملياً ؛ وإلى القارئ أهم ما يمكن أن تؤول اليه مواقف الالتزام والاعتراف ، وسوف لانقص هنا خبرا مطولا وانما حسبنا أن نذكر اعترافه وهو يحض نفسه على العناية بتراث قضيته (قضية الثورة العراقية) معترفا بسبق المستشرقين بالعناية بتراث العراق القديم : " يجب أن لانكون أقل عناية بأحدث آثار العراق من مستشرقي الاوربيين والامريكيين بأقدم آثاره " (البصير، تاريخ القضية العراقية، 1923، صفحة 3) ، إن عقليته الخاصة ، وخطته المتخذة بعد النأي عن العمل السياسي ، كانت تحت سلطان فكرته التي آمن بها حقاً ، وكان في صميمها عدم الركون لقوى الغرب ؛ كما تقوم في جوهرها على التزود بالمعرفة الحديثة ، ثم التحول تدريجياً نحو الاستقلال .

رابعاً : العناية بالأدب العربي القديم .

اذا ما نظرنا الى ما صدر عن البصير في بواعث دراسته للأدب القديم ؛ فبوسعنا أن نفهم الجزء الكبير من سر العناية بالنثر الفني القديم ، و سيكون من المفيد لنا الأخذ بوجهة نظره لكي نستعين بها في فهم المهمة التي اضطلع بها في مواجهة قوى العالم الغربي . وعلينا ألا ننسى ما كان للبصير من استعداد ذاتي له جانب لا ينكر من المساهمة في هذا الشأن ؛ وقد صرّح البصير في شأن الغايات من دراسة الأدب القديم : " إننا ندرس أدبنا القديم لا لنترسم خطاه وننسج على منواله ، ولكن لنصل ماضي أدبنا بحاضره ، ونعمل على تحاشي أخطاء الأول ورفع مستوى الثاني ، وذلك الى أن طائفة حسنة من آثار السلف تحتوي على شيء غير قليل من الفائدة والمتعة " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 97). لقد أودِعت في هذا الحديث مبادئ البصير وهي ذات طابع يبشر بحداثة في الفهم والموقف والاتجاه...

وقد رفع العناية بتراث الأمة إلى مرتبة عظيمة ، وإن واحداً من أحاديثه ليدل على ذلك ؛ يقول : " حفظ لغة الأمة شطر حياتها " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 97) ، ولن نكرر نظير ماورد من أحاديث للبصير ؛ لكن الأمانة تدعو الى الإشارة الى ما دعا إليه البصير من ضرورة تعلم لغة الآداب العالمية الأخرى .

المحور الثاني : قضية النثر الفني في ميدان العرض والاستدلال

أولاً : مفهوم النثر الفني

ليس من الممكن بطبيعة الحال أن يؤجل البصير الحديث عن تصوره لمفهوم النثر الفني ـ نظراً لما طُبع عليه من التزام منهجي ـــ إلى أبعد من مطالع الكتاب ؛ لقد قيّد في صدر الفصل الأول من كتابه حدَّ النثر الفني ؛ إذ رأى بأنه : " الكلام البليغ غير المنظوم الذي تصّور به الأشياء أو الأشخاص أو الحوادث تصويراً مؤثراً " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 8)

تدل كلمات التعريف ذات الدلالة الاصطلاحية على عقلية محكمة مماثلة لطريقة المتكلمين في إيثارهم حصر حدود المفاهيم . فالنثر الفني ـــ بهذا المعنى ـ ضرب من ضروب الكلام يقوم على القصد ؛ لأن شرطه البلاغة ، والبلاغة الإبانة عن القصد . وقد استعملت عبارة (غير منظوم) لنفي صفة الشعر عنه ؛ فكثيراً ماكان النثر في عرف الأقدمين : " فن قولي غير منظوم ، يقابل الشعر ذلك الفن القولي المنظوم " (دومة، 2008 _ 2009، صفحة 12) ؛ ثم يُختم التعريف بـ(التصوير المؤثر) ؛ وأرى أن تصوير الحوادث والشخصيات ليس وقفاً على طريقة التعبير فحسب ، بل كل ما تعنيه الكلمة من معنى واسع للفن ، وأذهب إلى أن هذا ما استقر في خلد البصير بشكل قاطع لايقبل الشك .

إن تعريف النثر الفني ـ كما سنرى ـــ سيحقق مطلب البصير ، بما استقر لديه من معرفة مستمدة من طبيعته الخاصة نفسها ـ أقصد طبيعة فن النثر ـ بحيث لا تعود صفة افتراقه عن الشعر (غير منظوم) مجرد صفة محضة للتفريق ، ولا الوسائل اللغوية الأخرى للتعبير؛ لأنها مشتركة ، إن استعمال مفردة (بليغ) للتعبير عن هذا الضرب من الكلام ، من شأنها أن تؤدي إلى نتيجة حتمية ، ولاشك أنها صفة (التفنن) في وصف النفس وما حولها من أشياء وحوادث ، بطريقة لا تتخذ أقصر الطرق في التعبير خياراً لذلك ؛ وانما أحوالاً أخرى أكثر غنى وعمقاً ، كالإشارة ، والمجاز ، والتشبيه وغيرها ... ومن الواضح أن البصير قد أحسَّ أن من غير المعقول أن تفتقر الحياة العربية قبل الإسلام الى هذا النوع من التعبير ، ولعل هذا هو جوهر الشق الأول من الكتاب ...!

ثانياً: الموقف من النثر الفني قبل الإسلام

كلما أخذ عمل البصير يتقدم تقدماً تدريجياً نحو الإحاطة بنشأة النثر الفني قبل الإسلام ، أحسَّ القارئ بأن روح المنافحة عن العربية تسري في عروقه ، وتملأ نفسه ؛ فيسير في هدى منها .

وكانت الفكرة الأساسية التي بنى عليها البصير موقفه تقوم على مناهضة فكرة (إنكار النثر الفني لعرب قبل الإسلام ، وإنكار أدبية القرآن) وللباحثين في شأن ذلك آراء أثرت عنهم ، وفي مقدمتها آراء المستشرقين ومن قارب طريقتهم ؛ هذا ما خبره وقرأه وتوثق منه ، وأمكننا بالنظر الى ردوده تلمس مقدار الأذى والحنق الناتج عن أثر تلك الآراء في قرارة نفسه ؛ فقد كانت تملأ نفسه أذى ؛ لأن نفي النثر الفني يعني إنكار المنكرين كما أكد ذلك

في قوله : " للجزء الدال حقيقة على التفكير والتحليل والتفنن في البيان " (البصير، بعث الشعر الجاهلي، 1939، صفحة 87) .

لاشك أن " جزءاً من مزاجه ، ضيقه بدراسات الاخرين ، وفي مقدمتها دراسات لعدد من الأساتذة والمؤلفين المصريين ، يؤلمه ما فيها من ثرثرة ومن تسرع ، ومن مجانبة للحقيقة ... ومن قبيل ذلك " أن الشعر الجاهلي جله أو كله منتحل .. وأن ابن المقفع مؤسس النثر العربي ، وأن الكتابة بدأت بعبد الحميد الكاتب ..." (الطاهر، الدكتور البصير والدراسات الأدبية، 1972، صفحة 4)

كان ذلك على مرأى البصير وعلى مسمع منه، وعندما قابل هذه الآراء بأهداف القوى العظمى ؛ صار مقتنعاً بقوة تزداد شيئاً فشيئاً بأن الخضوع لهذه الفكرة لا يعني تفوّق لغة المستعمر على لغته فحسب ، وإنما التفوق في التفكير والتحليل وفي العرق أيضاً ..! ولابد أن تأتي بنتيجة واحدة مفادها " الخضوع للمتفوق " (درويش، 1997، صفحة 48) . ورأى أن الذي هو مدعو له ، والقوة التي لا يستطيع مقاومتها ، تتمثل في التصدي لهذه الآراء.

لا غرابة اذاً بأن نراه مدركاً بإخلاص إدراكا قوياً (بضرورة) وجود نثر فني قبل الإسلام . وها هو يثبت رأيه على شكل خلاصة يقول فيها : " اذن فقد كان للعرب في جاهليتهم نثر فني ولكنه ضاع لغلبة الأمية عليهم ولم يصلنا شيء يمكن الاطمئنان إليه " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 8). ولم تكن هذه الخلاصة لتثنيه عن الدور الواجب إكماله وعرضه بغاية الدقة ؛ فقد كان ممتلئ النفس بحب العربية وأهلها ، ولم ير يوما أن من النافع لأبناء قومه في عصرهم هذا تضييع ما كان لهم من خير " من لم يؤد واجبه نحو وطنه كان عوناً لأعدائه عليه " (البصير، خطرات، 2012، صفحة 32) ، وكان في ذلك ضرب من الصبغة الأخلاقية أو التوجيه الأخلاقي الذي لطالما اصطبغت به نقود البصير ، كما سيتضح لنا ...

ليس خفياً أن مواد ذلك العصر في ندرتها وضياع أصولها لم تتيح لعقل مثل عقل البصير الاطمئنان التام والراحة المأمونة في إثبات صحة ما ذهب إليه ؛ لـذا كان لزاماً عليه إثبات ذلك بدلائل مادية يفرضها منهج علمي ؛ وكان حظه من متطلبات المنهج كبيراً ..! لقد عاد البصير من فرنسا : " مجهزاً بمنهج عام للدراسة الأدبية ، وكان هذا المنهج قائده وهو يدرس الأدب العربي " (الطاهر، الدكتور البصير والدراسات الأدبية، 1972، صفحة 4) وعلينا تصور حالته ــ بناءً على تكوينه النفسي وتاريخه النضالي ــ وهو يقابل بين الأمور التي أثارت في نفسه دوافع الكتابة ونتج عنها قوة مقاومة لمبدأ (الخضوع الثقافي للغرب) ؛ ولهذا يمكننا تعليل أفكاره ورؤاه التي كانت تأخذ طريقها للخارج على شكل أمثلة منتقاة تضرب بعناية ودقة وذكاء كدليل مشرق على تفرد أسلافه في مجال الفنون التعبيرية بشكل مواجه لكل من يحط من قدرها وقيمتها .

ويظهر هذا متمثلاً في سعيه الموفق في الاختيار وصحة الانتخاب في عرض العينات ..! ومن أدل الشواهد على ذلك ربطه بين "خطب النبي الكريم والخلفاء الراشدين وخطب العصر الجاهلي ؛ لأنها تشتمل على كل ضرب من ضروب الكلام الفني من قبيل السجع ، والازدواج ، والكلام المرسل ..." (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 9) .

ثالثاً :الموقف من النثر الفني في صدر الاسلام

يريد البصير الآن تفنيد فكرة (غياب النثر الفني ، ونفي أدبية القرآن) وإعادة القضية إلى أصلها ، بعد أن نال منها مركز الفكر الاستشراقي الغربي ، وبعض أساتذة العالم العربي المتأثرين بنمط الغربيين ، وبعدما شوهت الأفكار في محيط نظره وغيبت الحقائق وحرفت عن نهجها .

رأى البصير أن النثر الفني في صدر الإسلام " إنما يبتدأ دون أدنى ريب بالقرآن ، ويعجب ممن ذهب خلاف ذلك من المستشرقين أمثال : الأستاذ وليم مارسيه ، والدكتور طه حسين ، الذين قالوا بخلو القرآن من النثر الفني خلواً تاماً وإن ضروب النثر الثلاثة قد حفل بها القرآن ؛ فأما النثر المسجوع هو الطابع امتاز به القرآن وتفنن به افتناناً ؛ وأما الازدواج فقد شاع في التنزيل العزيز على الأخص عندما تتعلق الآيات بالوعظ والإرشاد والتحذير ؛ وأما النثر المرسل فيرجع إليه القرآن كلما رأى أن الالتزام بالضربين الآنفين لا يحققان المعنى ويكملان الأداء بصورة سليمة وواضحة " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 9) . ويقيم المثال على الضرب الأول من النثر المسجوع في قوله تعالى : " يَاأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١۝ قُمْ فَأَنذِرْ ٢۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤۝ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦۝ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ " . سورة المدثر .

وعلى الضرب الثاني من النثر المزدوج : " وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ ١۝ وَمَآ أَدْرِيكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢۝ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ٣۝ " . سورة الطارق .

وعلى النثر المرسل في القرآن الكريم : " يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " . سورة يوسف .

ثم يفيض البصير بذكر الشواهد القرآنية ، ويفصّل في نوع السَّجْعِ ويبتكر له التسميات والصياغات المتفردة ؛ ويرجع ابتكاره الى سعة القريحة والتفنن في البيان ؛ فضلاًعن وقفته عند الجوانب الفنية للسَّجْعِ وما يثيره من

دلالات يضيق عن حصرها حدود هذا البحث ؛ حتى إن "باحثاً قد أحصى صنيع البصير في هذا المجال" (الزبيدي، وليد جاسم، 2025) وللراغب بالمزيد العودة للكتاب .

ولقد كان من نتائج عمله النقدي المتفحص لآيات القرآن الوقوف عند الدقائق الفنية ، وقد أخذت مكانها في الحديث عن النثر الفني ؛ حتى نراه قائلاً : " ولم يكن هذا النثر الجميل الذي يبلغ من شدة انسجامه أنه يستحيل شعراً موزوناً في كثير من الأحيان ليخلو من المحسنات البيانية ، بل إنه حافل بها في مختلف أجزائه ، ولك أن تقرأ أية سورة من سوره المكية أو المدنية لترى أنها لاتخلو من تشبيه بليغ أو استعارة جميلة أو كناية مستملحة أو مجاز مستطرف أو طباق منسجم ... " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 19) .

لقد جاءت آراء البصير نتيجة لروح التدقيق والتفصيل وإطالة النظر في آيات القرآن الكريم ، وكانت ماضية في شدتها ووضوحها ، وكان معيارها الذي يحكم إطارها العام الرصيد العالي من الذوق الفني ، ولقد كان يغذيها مدد يتصل بموهبته في مجال الشعر وانتقاء الكلمة الموحية .

وفي نهاية عرضه يركز أفكاره في صيغة يعجب لها القارئ: " إن القرآن سفر منثور له قسطه من الحيوية والجمال وحظه من البراعة والقوة " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 21) وبذلك يكون قد وصل إلى صلب الرأي ؛ فيطلقه بصورة جازمة لا تقبل الجدل : " وسواء أذهب المستشرقون وغيرهم إلى أن القرآن يشتمل على نثر فني أم لم يذهبوا ، فإن الحقيقة التي لا غبار عليها هي أن القرآن لا يشتمل على نثر فني رائع فحسب ، بل أنه أستاذ النثر العربي الفني الأكبر ومبعث تياراته ومكون اتجاهاته حتى صدر القرآن هذا " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 22)

لقد أفرغ البصير وسعه في القول بأدبية القرآن ؛ لقد هيّأ ما تلزمه الفكرة من دعائم وأرسى قواعدها عبر انتقاء الآيات والوقوف عند أسرار تفوقها وتأثيرها ، وبالنسبة له فإن الأمر لايمكن أن يكون خلاف ذلك .

وأنه ليصح لنا أن نضيف إلى ذلك بأن فكرة (أدبية الكتب المقدسة) ليست حصراً على القرآن ، فقد نادى بها من كان تفكيره متجهاً نحو أسرار التأثير التي تحفل بها النصوص الدينية ؛ فظهرت أدبية العهد القديم والجديد والأناجيل المقدسة بعد أن كانت مصادر تأثيرها تعزى لعناصر روحانية غير محسوسة .! وأكبر مثال للتدليل على ذلك ، ما ذكره الأستاذ المرموق نورثرب فراي في كتابه " المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب" : " ليس التناول الأدبي للكتاب المقدس بالأمر غير المشروع في ذاته : اذ لا يمكن أن يكون كتاب قد مارس كل هذا التأثير الأدبي دون أن يمتلك في ذاته الخصائص الأدبية " (فراي، 2009، صفحة 24) .

فلا غرو أن تأتي المادة الأولى من الفصل الثاني لكتابه بعنوان (انتصار القرآن من الناحية الأدبية) ؛ لقد عزا البصير انتصار الدعوة الإسلامية الى شيء من ذلك التفوق : " إن انتصار الدعوة الإسلامية لم يكن دينياً فحسب ، وإنما كان أدبياً ، وأدبياً إلى حد بعيد " (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 24) ، وكان الفضل في ذلك لعظمة التأثير الأدبي للتعاليم الاعتقادية ، والآداب الدينية ؛ فقد أودعت الآيات ضروباً شتى من أصناف التأثير وكانت العبارات القرآنية أوعية المعاني التي أخذت طريقها بيسر إلى أفئدة الناس ؛ لتحل محل اعتقادهم القديم ، وهكذا أراد البصير بقوله : " إن كتاباً هذا حظه من الذيوع والانتشار لا يلبث أن يستولي على كل عقل وينفذ الى كل قرارة ويؤثر في كل خيال ؛ فقد كان القرآن عظيم التأثير في أذهان العرب وقرائحهم شديد الاستيلاء على عقولهم ومداركهم" . (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 25)

وقد توسَّع البصير في تعداد المزايا الأدبية للقرآن ، وطبقاً للصفحات المقررة لهذا البحث ، لا نستطيع الا أن نشير بإيجاز إلى أبرزها ، وفي مقدمتها : " قلة الغريب ، والانسجام الذي تستحيل معه العبارة شعراً مستقيم الوزن ، وتوظيف المحسنات البديعية ، والتزام السجع ، والازدواج أحياناً ، والانتفاع بالكلام المرسل كلما دعت الحاجة إليه" (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 25)

وانسجاماً مع ما جاء في بداية الكتاب ، كانت خطب النبي الكريم والامام علي عليه السلام وما جمعه الشريف الرضي من خطب له في نهج البلاغة وخطب الخلفاء مفزع البصير في إقامة رأيه القائل بوجود النثر الفني في عصر القرآن ؛ وكان من حسن ربط الأسباب بمقدماتها ، اشتمال خطب صدر الإسلام والخلافة الأموية على معظم المزايا الأدبية للقرآن وبنسب مختلفة ؛ ويدلل البصير على ما ذهب إليه بالشواهد المنتقاة ؛ ويأتي قوله شاهد صدق على ما بدأ به : " تبين لنا بوضوح أن خطباء عصر القرآن على اختلاف طبقاتهم كانوا متأثرين بالقرآن أشد التأثر ، يقلدونه في أساليبه ويحذون حذوه في مختلف نزعاته البيانية ..." (البصير، عصر القرآن، 1987، صفحة 25)

لم يكن البصير الذي نشأ ــ رواية عن جدته ــ طفلاً : " شديد الصلف ، كثير العبث ، لا يسمع نصحاً ، ولا يحفظ درساً " (الهلالي، 1974، صفحة 4) ليخيب ظن جدته المازحة فحسب ، بل ليفاجئ رجال عصره الذين اتصل بهم في مصر وباقي الأقطار العربية وقائمتهم تطول ، وامتد بينه وبينهم جسور المعرفة الموقف والمكانة الأدبية ؛ وحسبنا في هذه الأوراق وقفة قصيرة عرضنا فيها جانباً من جوانب نشأته وفكره وموقفه ومكانته الأدبية عسى أن تلتفت اليها أقلام أخرى بالدرس النافع .

الخاتمة ونتائج البحث

عُني البحث بقضية النثر الفني عند العرب قبيل الإسلام وفي صدره وعلى القضية المدار فيما تناول من سيرة موجزة لصاحب الكتاب (عصر القرآن) مشتبكاً مع أحداث عصره .

وقد كان السبيل إلى ذلك ، عرض القضية ـ بالوصف والتحليل ـ بالاضطلاع في معرفة بذورها وبواعثها وأسباب تظاهر الآراء فيها ؛ وقد لزم الأمر الانتفاع من آراء البصير بالعودة إلى مؤلفاته من قبيل : تاريخ القضية العراقية ، وكتاب بعث الشعر الجاهلي ، وكتاب نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر ، وخطرات ، وما كُتب عنه في الصحف والمجلات ...

و يمكن أن يلمس القارئ بوضوح ، الأثر الخارجي متمثلاً باحتلال البلاد وما نتج عنه من تعاظم موج الروح الوطنية والنضالية ، وأثر الاستشراق في تأجيج القضية ، فضلاً عن الاستعداد الذاتي للبصير الذي بني على الكثير من الاعتزاز الذاتي والقومي ، وتعلمه في الغرب الذي وسّع مجال رؤيته . وقد امتزجت تلكم العناصر ؛ فكتب البصير في ضوء منها كتابه (عصر القرآن) وأعمالاً قريبة له ، وصار بوسع القارئ أن يعلل حنق البصير على جملة من القدماء والمحدثين ممن شهد منهم ما يسيئ إلى مزاجه الذي بناه على الإخلاص للرأي وعلى فكر معرفي وأخلاقي لا يقبل الجدل .

ومن صنائع البصير في كتابه آنف الذكر ما يدل على علو في تناول النص الأدبي قوامه رصيد عظيم من الذوق والخبرة الفنية ، ويمكن للقارئ أن يرى ذلك في كل نص استدل به البصير على أدبية القرآن وعلل أسباب تفوق آياته ؛ وليثبت بما أوتي من طبع سليم ومنهج قويم إن للعرب قبل الإسلام وفي صدر الإسلام (نثراً فنياً) جعلوه أداتهم في التعبير عن حاجاتهم في تنوعها ، وليس نفي هذا الضرب من الفنون إلا غرضاً من أغراض القوى الساعية لبسط نفوذها على العالم العربي .

مراجع : القرآن الكريم

أحمد درويش. (1997). *الاستشراق الفرنسي والأدب العربي* (المجلد الأول). القاهرة، مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

ادوارد سعيد. (1996). *تعقيبات على الاستشراق*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

الزبيدي، وليد جاسم. (20 مارس، 2025). محمد مهدي البصير وجهوده في أدب قبل الاسلام. *مجلة رماح للبحوث والدراسات*، صفحة 16.

سعيد عدنان. (1 ابريل، 1984). تطور الاستشراق في دراسة الأدب العربي لعبد الجبار ناجي. *عالم الكتب*، صفحة 5.

عبد الرزاق الهلالي. (1 ديسمبر، 1974). الشيخ محمد مهدي البصير. *الأديب*، صفحة 21.

علي جواد الطاهر. (1 يوليو، 1972). الدكتور البصير والدراسات الأدبية. *الأديب*، صفحة 2.

علي جواد الطاهر. (1987). *أساتذتي ومقالات أخرى* (المجلد الأول). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

كرفاوي بن دومة. (2008 _ 2009). *أصول النثر العربي القديم بين رؤية مارسيه وبلاشير وزكي مبارك*. الجزائر: معهد الآداب واللغات.

محمد مهدي البصير. (1923). *تاريخ القضية العراقية*. بغداد: مطبعة الفلاح.

محمد مهدي البصير. (1939). *بعث الشعر الجاهلي*. بغداد: مطبعة التفيض الأهلية.

محمد مهدي البصير. (1987). *عصر القرآن* (المجلد ط3). بغداد: دار الشؤون الثقافية.

محمد مهدي البصير. (1990). *نهضة العراق الأدبية في القرن الثالث عشر للهجرة* . بيروت: دار الرائد.

محمد مهدي البصير. (2012). *خطرات*. بابل: منشورات بابل .

نورثرب فراي. (2009). *المدونة الكبرى الكتاب المقدس والأدب*. بيروت: دار الجمل.

The Issue of Artistic Prose in the Book The Age of the Qur’an

Research Summary

This brief study seeks to shed light on the issue of artistic prose in the book The Age of the Qur'an, focusing on the contributions of the late Dr. Muhammad Mahdi Al-Basir (1895–1974) in the field of literary criticism and its issues, and to highlight an aspect of his pioneering role from the early 20th century up to the time of his death. In our present era, the significance of this issue has waned, as it has become nearly confined to theoretical discussions or academic assumptions with limited ties to the intricate history of the Arabic language and its literature. However, in Al-Basir's time — and from his perspective — it was a matter of great importance. Due to the nature of the era and its events, the issue shifted from being .purely literary to becoming a political matter

This research aims to present the issue and the various viewpoints that support it beyond the book itself, in addition to analyzing how it is addressed through Al-Basir's understanding, particularly by focusing on the first chapter of his book. The research clarifies its objective by relying on the structure of this chapter, the literary examples cited, and the profound meanings these examples convey. These were carefully chosen and selected for their significance. The goal of the research necessitated a brief descriptive and analytical overview of Al-Basir's era, which undoubtedly fueled his zeal in a form of cultural resistance against the West, especially after he withdrew from political struggle. The study will examine Al-Basir's clear and evident views, which reflect his personality, methodology, and approach in presenting and managing this issue — in a manner that requires both .description and clarification of intent